

الصلّات التجارية بين سلطنة غرناطة وموانئ المغرب الأقصى خلال القرن الخامس عشر الميلادي

Commercial connections between the Sultanate of Granada and the
ports of the Far Maghreb during the 15th century AD.

أ- مني المبروك فرج بشير - قسم التاريخ . كلية التربية العجيلات . جامعة الزاوية

الملخّص:

اتّجه حكام مملكة غرناطة بنو الأحمر في تبادلهم التجاري إلى موانئ المغرب الأقصى، وذلك طبقاً للعادة الموروثة بين العدوتين إبان عصر بني الأحمر والمرينيين، ذلك أن الموقع الجغرافي خدم المغرب الأقصى المريني في أن يكون من الأطراف الفاعلة في الصلات التجارية لمملكة بني الأحمر، وقد تناولت الدراسة الصلات التجارية بين سلطنة غرناطة وموانئ المغرب الأقصى خلال القرن الخامس عشر الميلادي، وقد قُسمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث تناول المبحث الأول: جغرافية مملكة غرناطة، أما المبحث الثاني فقد تناول العلاقات الدبلوماسية بين مملكة غرناطة وبني مرين بالمغرب الأقصى، بينما تناول المبحث الثالث الصلات التجارية بين مملكة غرناطة وموانئ المغرب الأقصى.

الكلمات المفتاحية : مملكة غرناطة، موانئ المغرب الأقصى، الصلات التجارية، بني الأحمر، بني مرين

Abstract

The rulers of the Banu Al-Ahmar Kingdom of Granada headed their commercial exchanges to the ports of Al-Aqsa Morocco, in accordance with the custom inherited between the two enemies during the era of the Banu Al-Ahmar and the Marinids. If the geographical location served Al-Aqsa Morocco, the Marinids would be among the active parties in the commercial relations of the Banu Al-Ahmar Kingdom. The study dealt with the commercial relations between the Sultanate of Granada and the ports of the Far Maghreb during the 15th century AD. The study was divided into three sections. The first section dealt with the geography of the Kingdom of Granada. The second section dealt with diplomatic relations between the Kingdom of Granada and the Beni Marin in the Far Maghreb, while the third

section dealt with the commercial relations between the Kingdom of Granada. And the ports of Al-Aqsa Morocco.

Keywords (Kingdom of Granada, Al-Aqsa ports of Morocco, commercial connections, Beni AlAhmar, Beni Merin).

المقدمة:

قامت بمملكة غرناطة عدة دول ساهمت في تقدمها التجاري، ومن بين هذه الدول التي نالت الحظ الأوفر من معالم ومآثر هذا التقدم دولة بني الأحمر بغرناطة، وهذه الأخيرة التي عمرت لمدة تجاوزت القرنين ونصف (635-897هـ/ 1238-1492م)، والتي نشطت صلاتها التجارية بموانئ المغرب الأقصى في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وما ساعدها على ذلك هو خصائصها الطبيعية وموقعها الجغرافي المتميز، بالإضافة إلى كونها آخر معاقل المسلمين في الأندلس التي سقطت في أيدي النصارى الذين طالما سعوا جاهدين للانقضاض عليها، وشهدت مملكة غرناطة في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي صلات تجارية مع موانئ المغرب الأقصى، جعلتها في مصاف الدول التجارية الهامة في ذلك الوقت، ومن هذا الإطار يندرج موضوع " الصلات التجارية بين سلطنة غرناطة وموانئ المغرب الأقصى خلال القرن الخامس عشر الميلادي .

واعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي الاستقرائي وتحليل المضمون بالإضافة إلى المنهج التاريخي القائم على جمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع وتحليلها عقلاً ونقلاً ومقارنة نصوصها ومناقشة الأحداث وتفسيرها بهدف تحري الدقة قدر الإمكان.

المبحث الأول - جغرافية مملكة غرناطة:

تُنسب مملكة غرناطة من حيث تسميتها إلى عاصمتها مدينة غرناطة، واسم غرناطة(1) أو إغرناطة ليس اسماً عربياً، ويرجع إلى ما قبل الفتح الإسلامي للأندلس ، وقد حدث خلاف حول أصل هذا الإثم، وانقسموا إلى فريقين هما:-

يرى الفريق الأول: أن أصله روماني، وأن غرناطة Granada مشتق من الكلمة الرومانية جراناتا Granata ومعناها الرمان(2)، وقيل السبب في ذلك أن حدائق الرمان كانت تملئ المدينة، أو أنها جغرافياً تشبه الرمان المشقوقة، لوقوعها على تلين (3).

بينما يرى الفريق الثاني : أن الاسم يرجع إلى الأصل القوطي(4)، ويذكر أنه مشتق من كلمة ناطة Natta، الذي يعود إلى اسم ريبض قديم على مقربة من البيرة Elvira

(5)، ثم أضيف إليه المقطع الأول، وهو "غار"، ويُعني كهف أو وادي عميق، وقد يكون أصل الكلمة عبرياً ومعناه الغريب، فتصبح غرناطة بذلك تل الغرباء(6).

كما كانت غرناطة تُسمّى - أيضاً - "دمشق الأندلس" ، وذلك لنزول جند دمشق بها عند الفتح، وقيل سُميت بذلك لشبهها بدمشق في غزارة الأنهار، وكثرة الأشجار(7). وهذا ينطبق على مدينة غرناطة ، وأما مملكة غرناطة فتمتد حدودها الشرقية إلى البحر الأبيض المتوسط، وتشمل المنطقة الجنوبية الشرقية من الأندلس وراء الوادي الكبير. يحدها من الشمال مدن جيان (8) وقرطبة (9)، وإشبيلية (10)، ومن الجنوب جبل طارق (11)، ومن الشرق ولاية مرسية وساحل البحر الأبيض المتوسط، ومن الغرب ولاية قادس(12)، وأرض الفرنتيرة(13)، انظر الملحق رقم (1)، (2).

وتحيط بها المرتفعات جنوباً وشرقاً، فمن ناحية الجنوب يحدها نهر سُنيل(14)، والذي يُعرف بـ" نهر سنجيل أو سنجل"، كما يُطلق عليه اسم نهر غرناطة، وهو أحد فروع الوادي الكبير، وهو أشهر أنهار الأندلس(15)، وعليه نشأت أشهر المراكز الاقتصادية والحضارية في الأندلس كقرطبة وإشبيلية(16)، ويخترقها نهر حُدْرُه أو الدارو(17)، والذي يُقسم المدينة إلى قسمين، يصل بينهما القناطر والجسور(18)، ومن جهة الجنوب تطل غرناطة على مرج غرناطة(19)، الممتد غرباً حتى مدينة لوشه(20)، وكان يحيط بها مجموعة سلاسل جبلية أهمها جبل شيلر، والذي يُعرف باسم سير نيفادا، واسم شيلر تحريف للاسم اللاتيني القديم Solorius أي جبال الثلج، ويطل جبل شيلر على غرناطة العاصمة، ويقع في الجهة القبليّة منها، ويبلغ ارتفاعه نحو (3481) متراً(21)، كما يوجد جبل طارق، نسبةً إلى طارق بن زياد، وقبل الفتح الإسلامي كان يُعرف بعدة أسماء منها الاسم الفينيقي Calpe ومعناه تجويف، إذ كان يُطلق على مارة كبيرة في هذا الجبل(22)، وضمت مملكة غرناطة ثلاث ولايات كبرى في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي لكل ولاية مدنها وقراها كما يلي:-

الولاية الأولى: ولاية المرية (23) وقاعدتها مدينة المرية وهي أهم مدنها وأكبرها، وتمتد ولاية المرية من حدود ولاية مرسية في الشرق حتى شاطئ البحر المتوسط (24)، وأهم مدن ولاية المرية مدينة المرية عاصمة الإقليم ومدينة أندراش (25)، ومدينة دلالية(26)، ومدينة برجة (27)، ومدينة برشانة (28)، ومدينة المنصورة(29)، ومدينة بيرة(30).

أما الولاية الثانية من ولايات مملكة غرناطة هي ولاية مالقة، نسبة إلى مدينة مالقة (31)، وتمتد شرقي غرناطة بمحاذاة البحر المتوسط(32)، وتضم ولاية مالقة عدة مدن هي: مدينة رندة(33)، ومدينة أرجذونة(34)، وبلش مالقة(35)، وطريف (36) والجزيرة الخضراء(37)، وجبل طارق(38).

أما الولاية الثالثة من ولايات مملكة غرناطة كانت ولاية غرناطة، وتمتد جنوباً حتى البحر، وأهم مدنها غرناطة العاصمة، ومدينة وادي آش(39)، والحامة(40).

مما سبق يتضح أن موقع مملكة غرناطة كان يمتاز بأنه موقع متميز، حصنته الأنهار والبحار من ناحية، وزاد في تحصينها الجبال الشاهقة من ناحية أخرى، وكان ذلك سبباً في رد الغزاة الطامعين فيها في كثير من الأحيان، ولا سيما أن مملكة غرناطة كانت هي البقية الباقية من ملك العرب في الأندلس بعد أن استولى النصارى على معظم مدن الأندلس، ولم يبقى للمسلمين إلا هذه الرقعة في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية.

المبحث الثاني – العلاقات الدبلوماسية بين مملكة غرناطة وبني مرين (41) بالمغرب الأقصى (42).

بعد أن سقطت مدينة مراكش عاصمة الدولة الموحدية، ودانت بلاد المغرب الأقصى لبني مرين (43) في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، حرص بني مرين على تثبيت دعائم دولتهم (591-875هـ/ 1195-1470م)، علاوة على ذلك، سعوا إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع مملكة غرناطة وفرض سلطتهم على كافة المناطق وفق مجموعة من المبادئ الثابتة، كان أهمها ما يلي: استغلال كل فرصة لتوجيه الحملات العسكرية نحو الأندلس بشكل مباشر، وحماية مملكة غرناطة الإسلامية من حروب الغزو المسيحي، سواء استجابة لطلبات المساعدة الصادرة عن ملوك بني الأحمر (44) في غرناطة أو في أي مكان آخر (45).

وفي فترة حكم السلطان أبو العباس أحمد الثانية (789- 795/1387-1393) (46) بالمغرب الأقصى، كانت العلاقات الدبلوماسية مع مملكة غرناطة قوية، فقد عمل أبو العباس جاهداً على استمرار الصلات التجارية والتواصل مع السلطان الغني بالله محمد الثاني (755 - 760 هـ / 1354 - 1359) ثم (762 - 793 هـ / 1361 - 1392م)، وتبادل معه السفارات والهدايا وكثيراً ما جاء الوزير الغرناطي ابن زمرك (ت 796هـ/ 1394م) كسفير لفاص لترتيب الصلات التجارية المشتركة بينهما، وقد استمرت العلاقات طيبة حتى وفاة السلطان الغني بالله محمد الخامس سنة (793هـ/ 1391م)(47).

ولكن بعد ذلك شهدت العلاقات بين الدولتين فتوراً ملحوظاً، وضعف الصلات التجارية بينهما، ما ترتب عليه حالة جديدة في علاقات الطرفين اتسمت بالصراع بين الدولتين، إذ انقلبت الأوضاع في مملكة غرناطة بعد وفاة السلطان القوي محمد الخامس، وصارت فاس تحاول التحكم في سلاطين غرناطة، ففي عهد خلفه بالحكم ابنه أبو الحجاج يوسف الثاني (793-794هـ/1391 - 1392)، رغب أبو العباس المريني بامتلاك غرناطة ومد سلطانه إليها، ولا سيما بعد أن ضم المغرب الأوسط لحكمه، وأشار السلوي إلى: "كانت مراسلات السلطان المريني، يعني السلطان أبا العباس مع السلطان يوسف بن الغني بالله صاحب غرناطة حسنة في الظاهر تدل على الموافقة والمحبة، وكان المريني في الباطن يحب الاستيلاء على مملكة غرناطة، ولما لم يمكنه ذلك بالسيف، عدل إلى أعمال الحيلة فأهدى إلى السلطان أبي الحجاج كسي رفيعة أحدها مسمومة فلبسها، فهلك سنة (794هـ/1392م)، ومع ذلك لم يدرك المريني غرضه، فإنه لم يلبث إلا يسيراً حتى سنة (796هـ / 1394م)" (48)، ولم يحقق حلمه التوسعي بالأندلس.

وفي بداية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ضعفت الصلات التجارية والسياسية بين الدولتين ، فقد دخلت الدولة المرينية ذروة مراحل الضعف والانحطاط، حيث عاد استبداد الوزراء والحجاب ، وأصيبت الدولة بحالة ضعف سياسي واقتصادي كبير، وواجهت عمليات غزو خارجية استهدفت المدن الساحلية، ولم تستطع مجابهتها، فاحتل البرتغاليين سنة (49) سنة (818هـ / 1415م)، وانتقل الصراع الإسباني المغربي إلى الأرض، والمياه المغربية (50)، كذلك انشغلت مملكة غرناطة بمشاكلها الداخلية ومجابهة حروب الاسترداد التي اشتعلت جذوتها، واضطرت مملكة غرناطة لمواجهتها منفردة (51)، كل ذلك أدى إلى ضعف الصلات التجارية بين الدولتين، بالإضافة إلى انعدام العون المغربي لغرناطة، ما كان له أكبر الأثر في ضعف مملكة غرناطة، والضغط المستمر عليها من جانب القوى الإسبانية، ما أدى في النهاية إلى سقوط الدولتين (52).

علاوة على ذلك، جرت أحداث سياسية بين المغرب الأقصى ومملكة غرناطة خلال هذه الفترة الزمنية ، تمثلت في تدخل المغرب في عهد السلطان أبو سعيد عثمان الثاني (53) لمساندة ثورة سكان جبل الفتح على السلطات الغرناطية ، عهد سلطانه يوسف الثالث (810-820هـ/1408-1417م)؛ إذ طلب سكانها تملك السلطات المرينية لجبل الفتح، لإدراكهم ضعف حكام غرناطة، وأن المغرب الأقصى أقدر على حمايتهم من الإسبان، فبعث السلطان المريني إليهم أخاه عبد الله المعروف بـ" سيدي عبو" سنة

(813هـ / 1411م)، ودعمه بفرقه من الجيش لتملك الثغر، لذلك أسرع السلطان النصرى بإرسال المدد العسكري إلى الحامية النصرية بالجبل، وقد استطاع الغرناطيون هزيمة الجنود المغاربة، وأسر قائد الجيش المغربي عبد الله، واصطحبه إلى غرناطة، فأكرمه السلطان هناك، وأسكنه بغرناطة ليكون تحت نظره، حتى يستخدمه في الوقت المناسب ضد سلطات فاس، وفي سنة (823هـ / 1420م) جاءت الفرصة المناسبة، فأرسله السلطان النصرى أبو عبد الله محمد الملقب بالأيسر إلى المغرب، مزوداً بالمال وبعض الجند، ليناهض أخاه السلطان، وقد هرعت القبائل المغربية لمساندته وتأييده، واستطاع حصار فاس، وقام بسجن أخيه السلطان أبو سعيد عثمان الثاني(54).

وفيما يتعلق بتأثير العلاقات الدبلوماسية على العلاقات التجارية بين موانئ المغرب الأقصى ومملكة غرناطة، فقد استمر الطرفان في عمليتهما. ولم تعيق موانئ الأقصى والمغرب ومملكة غرناطة قدرتها على نقل السلع والتجارة بسبب السياسة أو تقلباتها، إذ كان ينظر إلى العالم الإسلامي آنذاك كوحدة جغرافية مترابطة، على الرغم من وجود حكومات مختلفة (55) ويرجح أن التجارة بين المغرب ومملكة غرناطة خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي كانت أقل مما كانت عليه في العصور السابقة. ويمكن أن يعزى هذا التناقض إلى القرب الجغرافي بينهما، والتراث التاريخي والأيدولوجي المشترك، وتأثير توغل الأقصى في المغرب وغرناطة على علاقاتهما التجارية. وكما ذكرنا سابقاً، فقد أعاققت قدرة التجار على التنقل بين المدن، خاصة في أوقات العداء الشديد بين الفصيلين، كما حدث عندما تمرد سكان جبل الفتح (جبل طارق) على السلطات الغرناطية في بداية القرن التاسع الهجري/الرابع عشر الميلادي (56)، إلا أننا نجد المصادر تتحدث عن حركة قوية لتبادلات تجارية بين المغرب الأقصى وغرناطة خلال فترة الدراسة، حيث تأتي المراكب الغرناطية إلى موانئ المغرب محملة بالتمور والحبوب والحيوانات والذهب وغيرها، بينما صدرت غرناطة للمغرب التحف المصنعة، التي كانت تستوردها من أوروبا، وتقوم بتوزيعها في العالم الإسلامي، وكذلك المنسوجات وغير ذلك(57).

المبحث الثالث – الصلات التجارية بين مملكة غرناطة وموانئ المغرب الأقصى:

نشطت حركة التجارة البحرية لدولة بني مرين في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، من خلال موانئها البحرية المطلة على المحيط الأطلسي، وعلى البحر

المتوسط، وتميزت موانئ البحر المتوسط بسهولة عملية رسو السفن فيها، بسبب ضعف حركة الأمواج والتيارات البحرية، فضلاً عن سهولة عبور البحر المتوسط، والقرب النسبي للموانئ وبلاد الأندلس والمدن الأوروبية (58)، ومن أبرز تلك الموانئ ميناء سبتة التي وصفت بأنها

جمالها تصبُ إلى حُسْنه

أخطر على سبتة وانظر إلى

ألقي في البحر على بطنه (59)

كأنها عودُ الغناء وقد

وازدهارها التجاري يرجع إلى نشاطها البحري، حيث احتوت على ثلاثين مرسى (60)، لذلك أصبحت "محط قوافل الحصير والحريير والكتان" (61)، كما وصفت بأنها فرض البحر العظيم، لكثرة ما يتردد عليها من مراكب المسلمين والأجانب (62)، كما ورد عليها تجار من أراجون وغرناطة، وبهذا أصبحت سوقاً عالمية يتوافد عليها التجار من مختلف الجنسيات، لتسويق سلعهم (63)، وكانت موانئ سبتة مرتبطة بطرق بحرية، وأخري برية مثل ارتباطها مع السواحل الأندلسية، وكانت الاتصالات كثيفة ومستمرة منذ زمن بعيد، بل إن مضيق جبل طارق شكل قنطرة رابطة بين القارتين، أكثر من كونه حداً طبيعياً فاصلاً بينهما، إذ كان المضيق نقطة مرور تقليدية بين سبتة وغرناطة، كان يتم اجتيازه، مع رياح مساعدة، في أقل من ثلاث ساعات (64)، وهذا الازدهار التجاري الذي حظيت به سبتة، جعلها محط أطماع العديد من الدول، حيث استولت عليها غرناطة (65) عدة مرات (66) كذلك واجهت سبتة أطماع الدول الأجنبية وأستول عليها البرتغال سنة 818هـ/1415م، وهو ما أثر سلبي على تجارة المرينيين، حيث أفقدها كثيراً من مكانتها التجارية (67).

إن زرار الذي ألف كتابه في منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي (853-845هـ/1449-1450م)، يصف مدينة سبتة بكونها: "زهرة مدائن القارة الإفريقية كلها، حيث نجد المسلمين الأجانب القادمين من إثيوبيا، ومن الإسكندرية، ومن أرض الشام، ومن الأندلس، ومن باقي بلاد المغرب، ومن الأناضول حيث ممالك الترك، وكذلك مسلمي باقي مناطق الشرق الذين يعيشون على الجانب الآخر من الفرات، ومن الهند، ومن باقي الأراضي الأخرى الكثيرة البعيدة، كلهم يأتون إلى سبتة محملين بكثير من السلع الثمينة" (68)، كما كانت مدينة سلا أحد الموانئ المهمة، ويصفها أحد الشعراء قائلاً:

ومجمع الركب من التجار

وسوق لأنواع التجارة المقيم(69).

هي محط سفن البحار

من كلّ منافع في الحديث القديم

وأصبحت سلا محط مختلف الجنسيات من التجار (70)، من أشبيلية وغيرها من باقي مدن مملكة غرناطة(71)، كما كانت طنجة محط السفن(72)، ولا سيما مع مملكة غرناطة، فهي البوابة الرئيسية للسلع الأندلسية(73)، لذلك لم تسلم طنجة من أطماع البرتغاليين الذين حاولوا الاستيلاء عليها عدة مرات، ففي سنة (841هـ/ 1437م) حاولوا الاستيلاء عليها، ولكنهم فشلوا في ذلك(74)، ثم نجحوا في الاستيلاء عليها سنة (869هـ/ 1464م)(75)، وتُعد أسفى آخر ميناء تبلغه المراكب من الأندلس، وليس بعده للمراكب مذهب(76)، وكان ميناء غساسة وميناء مليلة (77) مقصد السفن لتجار البندقية(78)، وكذلك ميناء أصيلا المتعلقة على رأس الخليج (البحر المتوسط)، كان مقصداً للسفن - أيضاً- (79)، أما عن أنفا فهي مجلب السلع، تهدي إليها السفن شارعة وتبتدرها مُسرعة، فكان يتوافد عليها سفن غرناطة(80)، كما لم تسلم أنفا وأصيلا من أطماع البرتغاليين حتى استولوا عليهما في سنة (870هـ/ 1469م)(81)، كما تعددت الموانئ التجارية في غرناطة، مما سهل حركة التجارة ومن تلك الموانئ : ميناء المريّة، وميناء مالقة، وميناء المنكب، والتي اكتسبت أهميتها البحرية من خلال السلع التي كانت تصدر منها إلى بلاد المغرب الأقصى وغيرها(82)

وكانت مملكة غرناطة تستورد الأرز من بلنسية، والزيت من قشتالة، والقمح من بلاد المغرب الأقصى (83)، وكان إشبيلية تصدر إلى المغرب الأقصى أنواعاً ممتازة من التين والعنب والزيتون والقطن، وقرطبة التي كانت تصدر معدن الزئبق، وبلنسية التي اشتهرت بالمنسوجات التي كانت تصدرها إلى بلاد المغرب الأقصى(84)، وكانت سبتة هي ميناء الاتصال الأصلي بمملكة غرناطة في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، محطاً لقوافل العصير والحريير والكتان، ولعل التجار المغاربة اتخذوا من هذه السلع سوقاً رائجة لتصديرها إلى جهات الأندلس، كما كان المغرب الأقصى حلقة الوصل بين بلاد السودان الغربي ومملكة غرناطة، حيث حمل التجار المغاربة الذهب والصبغ إلى أسواق غرناطة، لينتقل منها مع غيره من السلع إلى أوروبا ودول حوض البحر المتوسط(85)، كما كانت مدينة فاس تمد غرناطة بالجلود المعالجة وغير المعالجة طوال الوقت، فكونت من تلك التجارة ثروة كبيرة، كما كانت فاس تجلب أدوات الفلاحة من غرناطة(86).

الخاتمة:

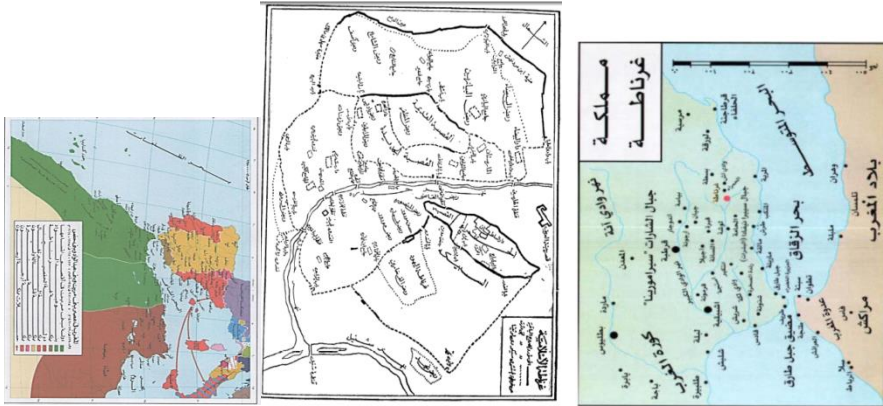
توصلت الدراسة إلى أن تأثير الموقع الجغرافي لمملكة غرناطة على تعاملاتها التجارية مع موانئ الأقصى المغربي، حيث ازدهرت التجارة البحرية لدولة بني مرين طوال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، بفضل موانئها البحرية الواقعة على المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط.

أما فيما يخص الصلات التجارية بين مملكة غرناطة وموانئ المغرب الأقصى، فإن موقع المغرب الأقصى المتوسط بين الشرق وبلاد السودان، وأوروبا، كان له أثر على ازدهار تجارة المغرب الأقصى بينه وبين مملكة غرناطة، وقامت سفن غرناطة بزيارة الموانئ المغربية لنقل الذهب والحبوب والحيوانات والتمور وغيرها من السلع. وفي المقابل، صدرت غرناطة إلى المغرب المنسوجات والتحف المصنعة التي استوردتها من أوروبا وانتشرت في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

وكان لاشتباك المغرب الأقصى وغرناطة في مناقشات أبلغ الأثر على علاقاتهما التجارية، حيث أعاق حركة التجار بين المدن، خاصة في أوقات العداء المتزايد بين الفصليين.

الملاحق.

الملحق رقم (1) خريطة موقع ومدن مملكة غرناطة (87)



الملحق رقم (2)(88) مدينة غرناطة العاصمة. الملحق رقم (3)(89).

الهوامش:

(1) غرناطة : بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح النون، وألف وطاء مهملة وهاء في الآخر، ويقال أغرناطة بهمزة مفتوحة في أولها، وهي مدينة في جنوب الأندلس، موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة، ينظر: أبي العباس أحمد القلقشندي (ت 821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915م، ج5، ص213-214.

(2) أحمد بن محمد المقرئ التلمساني المقرئ، نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت- لبنان، 1968م، ج1، ص147؛ شهاب الدين أبي عبدالله بن عبدالله الرومي البغدادي ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر بيروت، دبت، ج4، ص195.

(3) أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، 1968م، ص463.

(4) القسوط : هم مجموعة من القبائل الجرمانية، جاؤوا من جرمانيا وإسكندنافيا، عبروا البحر البلطي قبل القرن الرابع قبل الميلاد، حتى وصلوا إلى مصب الفستولا، وقرب منتصف القرن الثاني الميلادي بدأت قبائل القوط رحلة طويلة نحو الجنوب الشرقي، واستقروا شمال البحر الأسود، وانقسمت إلى قسمين وهما: قوط غربيين، وقوط شرقيين، ينظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م، ص66.

(5) هي بلدية قريبة من ساحل البحر الأندلسي، ولها مرسى ترسى فيه السفن بين مرسية والمرية، للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج1، ص526.

(6) Francisco Javier Simonet:Description del reino de Granada, Madrid, 1860, p.40.

(7) المقرئ، نفع الطيب، المصدر السابق، ج1، ص148.

(8) جيان : مدينة بالأندلس بينهما وبين بياضة ستون ميلاً، وهي كثيرة الخصب، رخيصة الأسعار، كثيرة اللحم والعسل، وجيان في سفح جبل عال جداً، وفي داخلها عيون وينابيع مطردة، ومنها عين ثرة عذبة، عليها قبو من بناء الأول، ولها بركة كبيرة، للمزيد ينظر أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم الحميري (ت 867هـ)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تصحيح إ. لافي بروفنسال، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط2، 1988م، ص70.

(9) قرطبة : تقع شرق كورة البيرة، وبينهما تسعون ميلاً، أرضها كثيرة الأنهار والأشجار وهي قاعدة بلاد الأندلس وام مدنها وهي مستقر خلافة الأمويين في الأندلس وبها المسجد الجامع واسواقها كثيرة عامرة، انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج4، ص324.

(10) إشبيلية: مدينة كبيرة عظيمة، بها قاعدة الأندلس، وبها بنو عباد، وهي غربي قرطبة بينهما ثلاثون فرسخاً، ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص195.

(11) يقع في أقصى جنوب إسبانيا، ويعتبر جبل طارق قاعدة الوصل بين المغرب والأندلس، وكان يسمى قبل الفتح الإسلامي بأسماء عديدة أهمها الجبل المجوف، لوجود مغاربة كبيرة فيه، وسمى بعد الفتح بجبل الفتح، ثم جبل طارق نسبة لفتاح الأندلس طارق بن زياد، للمزيد ينظر: إبراهيم بيضون،

الدولة العربية في إسبانية من الفتح حتى سقوط الخلافة (92-422هـ / 711-1031م)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1986م، ص75-76.

(12) قادس : هي جزيرة بالأندلس عند طالقة من مدن إشبيلية، ويبلغ طول الجزيرة من القبلة إلى الجوف إثنا عشر ميلاً، فيها مزارع وهي كثيرة الربيع، ينظر: الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص448-449.

(13) الفرنتيرة: تمتد من قادس جنوباً حتى طرف الغار شمالاً، ينظر: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس (عصر الموحدين)، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ج5، ص99؛ محمود شيت خطاب، قادة فتح الأندلس، مؤسسة علوم القرآن- منار للنشر والتوزيع، ط1، 2003م، ج2، ص114؛

(14) أحد فروع نهر الوادي الكبير، يمر من مدينة غرناطة، ينظر: ابن الخطيب السلماني لسان الدين (ت 776هـ / 1375م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1973م، ج1، ص118.

(15) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري (ت 487هـ / 1094م)، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1992م، ص180.

(16) المصدر نفسه، ص278.

(17) نهر حُدْرُه أو الدارو يُعرف بنهر غرناطة لأنه يشق مدينة غرناطة، وينحدر من جبل بناحية مدينة وادي آش شرقي شلير فيمر بين بساتين ومزارع إلى أن ينتهي إلى غرناطة، والماء يجري في هذا النهر في جميع البلد، ينظر: أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ج2، ص569.

(18) المقرئ، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص385.

(19) سُمى هذا المرج - أيضاً - بالفحص والبطح، ينظر: ستانلي لين بول، قصة العرب في إسبانيا، ترجمة: علي الجارم، مؤسسة هندواي، 2012م، ص144.

(20) مدينة لوشه: تقع غربي مدينة غرناطة، ينظر: الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص513.

(21) المصدر نفسه، ص343-344.

(22) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مرجع سابق، ص403-404.

(23) مدينة المرية: مدينة كبيرة من كورة البيرة بالأندلس، وكانت هي وبجانة بابي الشرق منها يركب التجار، وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب، للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج5، ص119.

(24) الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص537.

(25) أندراش: بلدة بالأندلس من كورة البيرة، يُنسب إليها الكتان الفائق، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج1، ص260.

- (26) دلالية: بلد قريب من المرية من سواحل بحر الأندلس، ينسب إليها العباس أحمد بن عمر بن أنس بن دلهات بن أنس ابن قطبة العذري المري، ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص460.
- (27) برجة: مدينة بالأندلس من أعمال البيرة، ينسب إليها أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله الجذامي المقرئ، ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص374.
- (28) برشانة: من قرى إشبيلية بالأندلس، ومنها أبو عمرو أحمد بن محمد بن هشام ابن جمهور بن إدريس بن أبي عمرو البرشاني، ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص384.
- (29) المنصورة وبيرة هما مدينتان صغيرتان في ولاية المرية، تقعان في شمال شرقها، ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص109.
- (30) المقرئ، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص166.
- (31) مالقة: مدينة أندلسية بينها وبين مدينة برليانة ثمانية أميال، وهي مدينة حسنة أهلة كثيرة العمران، فيها يصنع الفخار، انظر الإدريسي، نزهة المشتاق، المصدر السابق، ج2، ص565.
- (32) المقرئ، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص166.
- (33) رندة: معقل حصين بالأندلس من أعمال تاكرنا، وهي مدينة قديمة على نهر جارٍ وبها زرع واسع وضرع سابغ، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج3، ص73.
- (34) أرجونة: مدينة بالأندلس، رية كورة عظيمة بالأندلس، مدينتها أجنونة، منها كان عمرو بن حفصويه الخارج على بني أمية، ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص144.
- (35) بلش مالقة: تقع شرقي ثغر مالقة وعلى مقربة منها، ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة، المصدر السابق، ج1، ص112.
- (36) طريف: مدينة تقع جنوب الأندلس، على لسان يمتد في البحر المتوسط من الناحية الجنوبية الغربية، وبذلك تواجه الجزيرة الخضراء الواقعة في الجهة الشرقية منها، ومن طريف إلى الجزيرة الخضراء نحو ثمانية عشر ميلاً، ينظر: الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص392.
- (37) الجزيرة الخضراء: هي أول مدينة تم فتحها في الأندلس، وهي مطلة على بحر شلطيّش، طولها نحو ميل، وهي مدينة متصلة البينان، الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، المصدر السابق، ج2، ص541-542.
- (38) المقرئ، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص166.
- (39) وادي أش: هي مدينة أندلسية تقع على نهر ينبع من جبل شيلر يسمى فردس، وتقع على مسافة 53 كم شمال شرقي غرناطة، وتشتهر بزراعة الفواكه، ينظر: الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، المصدر السابق، ج2، ص567.
- (40) الحامة أو الحمة: مدينة من أعمال المرية تقع في جنوب غربي غرناطة قريباً من مدينة بجانه، ويخرج منها مياه كبريتية طيبة، وهي مدينة مشهورة بالحمامات، ينظر: الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص80.
- (41) انظر الملحق رقم (3).

(42) يطلق اسم بلاد المغرب على المنطقة التي يحدها مصر شرقاً، والبحر المتوسط شمالاً، والصحراء الكبرى جنوباً، والمحيط الأطلسي غرباً، وتنقسم بلاد المغرب إلى المغرب الأدنى، والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى، والمغرب الأقصى: يحده نهر ملوية شرقاً، ويفصله عن المغرب الأوسط، ثم المحيط الأطلسي غرباً، والبحر المتوسط شتظماً، والصحراء الكبرى، وبلاد السودان جنوباً، ينظر: عبد الحميد هلال عبد الحميد، الزراعة في المغرب الأقصى في عصري الموحدين وبنو مرين (524-956هـ/1130-1549م)، رسالة ماجستير، كلية الأدب- جامعة المنصورة، دت، ص9.

(43) يرجع جميع المؤرخين أصل وجذور بني مرين إلى مجموعة قبائل زناتة البربرية، وذلك بقوله أن بني مرين فخذ من زناتة، ويعتبر بنو مرين أعلى قبائل زناتة حسباً وأشرفها نسباً، حيث ترجع جذورهم القبلية إلى أصول عربية، ويرجع البعض نسبهم إلى الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه، للمزيد ينظر: عامر أحمد عبد الله حسن، دولة بني مرين تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في إسبانيا (668-869هـ/1269-1456م)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس- فلسطين، 2003م، ص85.

(44) يرجع نسبهم إلى محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر وينتهي نسبه إلى سعد بن عبادة الخزرجي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسمي ابن الأحمر لأن لون شعره كان أحمر، ولم يكن هذا اسماً له، بل كان لقباً، وكان هذا اللقب له ولأبنائه من بعده حتى نهاية فترة حكمهم لمملكة غرناطة، ينظر: راغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، مؤسسة أقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 2011م، ج2، ص638-639.

(45) حسن، دولة بني مرين تاريخها وسياستها، مرجع السابق، ص123.

(46) السلطان أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن أبي سالم المريني، من ملوك فاس، توفي بقفصه في شعبان سنة ست وتسعين وسبعمئة، وملك من بعده ابنه فارس عبد العزيز، ينظر: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني حاجي خليفة (ت 1067هـ/1657م)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تح: محمود عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة إرسىكا، إستانبول- تركيا، 2010م، ج1، ص115.

(47) العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مرجع سابق، ص454.

(48) نقلاً عن: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: الدولة المرينية، القسم الثاني، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط1، 1997م، ج4، ق2، ص82.

(49) سبتة: هي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب، ومرساها أجود مرسى على البحر، وهي بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة، وهي مدينة حصينة تشبه المهديّة التي بإفريقية، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق، ج3، ص182.

(50) السلاوي، الاستقصاء، المصدر السابق، ج4، ق2، ص86-92.

(51) المصدر نفسه، ج4، ق2، ص81.

(52) حومد، أسعد، محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1988م، ص126.

(53) هو ثالث الأخوة الأشقاء من بني أبي العباس، بويع بعد صلاة العصر يوم الثلاثاء ثلاثين جمادي الآخرة سنة ثمانمائة وسنة، وكانت سائر أمور دولته للوزراء والحجاب، والسلطان متفرد لاستيفاء لذاته، ومن أكبر حجابيه أبو العباس القبائلي، ينظر: السلاوي، الاستقصا، المصدر السابق، ج4، ق2، ص86.

(54) هناك اضطراب في المصادر عن سلاطين فاس في هذه الفترة قبل السلطان الأخير عبد الحق، فوجد السلاوي في الاستقصا، يشير إلى السلطان أبو سعيد الثاني ومن بعده أخيه السلطان عبد الحق آخر سلاطين بني مرين، بينما يذكر ليون الأفريقي أن سلطان غرناطة بعث الأمير محمد بن عبد العزيز المريني نحو فاس، لينفذ انقلاب ضد سلطانها أبي سعيد، وذلك بناءً على طلب من سلطان تونس الذي كان في حالة حرب مع المغرب، فأستطاع سجن السلطان المذكور، بينما يذكر المقرئ اسم السلطان أبو عبد الله محمد بن السلطان أبو سعيد ثم ابن أخيه أبو زيد عبد الرحمن حفيد السلطان أبي سالم، أنهم كان متولي السلطة قبل السلطان الأخير عبد الحق، الذي تولى الحكم سنة 833هـ/1830م، مخالفاً في ذلك ما ذكره صاحب الاستقصا، ينظر: الاستقصا، ج4، ق2، ص94-95؛ تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي عبد القادر العبيدي المقرئ (ت845هـ/1442م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1997م، ج5، ص424؛ الحسن بن محمد الوزان الفاسي ليون الأفريقي، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد جحي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط2، 1983م، ج1، ص215.

(55) مصطفى نشاط، ملاحظات حول المعاهدات التجارية المغربية في العصر المريني الأول، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، جامعة الحسن الثاني - كلية الآداب والعلوم الإنسانية بعين الشق، مج2، 1989م، ص160.

(56) حميد تيناو، الحرب والمجتمع بالغرب خلال العصر المريني (609-869هـ/1212-1465م): إسهام في دراسة انعكاسات الحرب على البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 2009م، ص273.

(57) حاتم نصر محمود حسن، المدن التجارية بالمغرب الأقصى في عصر بني مرين (610هـ/1213م- 869هـ/1465)، أطروحة دكتوراه، جامعة المنصورة- كلية الآداب، 2009م، ص201-202.

(58) صابر دياب، دراسات في عالم البحر المتوسط في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، مج24، القاهرة، 1977م، ص57.

(59) أحمد المكناسي ابن القاضي (1025هـ/1616م)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ج1، ص328.

(60) مصطفى نشاط، جوانب من المسكوت عنه في الكتابة التاريخية المرينية، نموذج الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، حويلات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، ع7، ص195.

(61) ابن الخطيب، كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهدة والديار، تح: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص146.

(62) شهاب الدين أحمد بن يحيى ابن فضل الله العمري (ت 749هـ / 1349م)، مسالك الأبحار في ممالك الأمصار، تح: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2010م، ج4، ص127.

(63) محمد الشريف، سبته الإسلامية دراسات في تاريخ الاقتصادي والاجتماعي (عصر الموحدين والمرينيين)، تقديم: امحمد بن عبود، منشورات جمعية تطاون، أسمير، 1995م، ص109.

(64) المرجع نفسه، ص109-110.

(65) تولى حكم سبته من الأندلسيين منذ عهد الأمويين في الأندلس، ومن بعدهم الحموديون الأدارسة حكام مالقة في القرن الخامس، وسيطر المرابطيين والموحدين على المغرب والأندلس، حتى عهد بني مرين، كما سيطرت غرناطة عليها من (705-709هـ / 1305-1309م)، حتى استرجعها أبو سالم المريني مرة أخرى، إلا أنه في أواخر العهد المريني اضطرت الأوضاع السياسية في مملكة بني مرين، وأصبحت غرناطة هي المسيطرة في أمورها السياسية، تقوم بعزل وتولي ما تريد، وسيطرت على سبته حتى سقطت في أيدي البرتغال سنة 818هـ / 1415م، ينظر: ابن الخطيب، كتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهدة والديار، المصدر السابق، ص144، هامش رقم (1).

(66) محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1987م، ص86.

(67) أمين توفيق الطيبي، احتلال البرتغاليين مدينة سبته المغربية (818هـ / 1415م)، مقدماته ودوافعه ونتائجه، بحث من كتاب دراسات وبحوث في التاريخ المغربي الأندلسي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1997م، ج2، ص273.

(68) Gomes Eanes de Zurara, Crónica de tomada de Ceuta por el Rei D. João I, F.M, Esteves Pereira, Lisbonne, 1915, p. 268-269.

(69) الطيبي، احتلال البرتغاليين مدينة سبته، مرجع سابق، ج2، ص274.

(70) كوادر روجي، قرصنة سلا، ترجمة: محمد العربي محمود، مجلة البحث العلمي، ع36، 1986م، ص142.

(71) الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص319.

(72) محمد زنبير، المغرب في العصر الوسيط: الدولة والمدينة والاقتصاد، منشورات كلية الآداب بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ط1، 1999م، ص290.

(73) المرجع نفسه، ص290.

(74) نجاة سليم محمود محاسيس، معجم المعارك التاريخية، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011م، ص339.

(75) المرجع نفسه، ص339.

(76) الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص75.

(77) مليلة: مدينة تقع على البحر المتوسط لها ميناء مهم، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص197.

- (78) زنيبر، بعض موانئ التجارة المغربية، مرجع سابق، ص240-241.
- (79) بن منصور، عبد الوهاب، أصيلة عبر التاريخ، مجلة المناهق، ع 16، 1979م، ص77.
- (80) ابن الخطيب، معيار الاختيار، المصدر السابق، ص150.
- (81) بن عبد الله، عبد العزيز، أصيلا، مجلة المناهل، ع 16، 1979م، ص219.
- (82) أميرة الطواب أحمد سفين، الأزمات الاقتصادية وتأثيرها الاجتماعي على مملكة بني الأحمر في غرناطة (635-798هـ)، نور حوران للدراسات والنشر والتراث، 2022م، ص54.
- (83) فرحات، يوسف شكري، غرناطة في ظل بني الأحمر (دراسة حضارية)، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993م، ص127.
- (84) الحريري، محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ - 1213م - 869هـ / 1465م)، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1985م، ص235.
- (85) المرجع نفسه، ص235.
- (86) عبد الحميد، الزراعة في المغرب الأقصى في عصري الموحدين وبني مرين، مرجع سابق، ص149.
- (87) شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، دمشق- سورية، ط12، 2005م، ص83.
- (88) محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية في اسبانيا والبرتغال: دراسة تاريخية أثرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1997م، ص163.
- (89) حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1987م، ص167.